التشابه بينهما حاصل في الهيئة التي هي مناط الاسم واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه
هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتهم فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في
الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها
ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان
التطهر يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت
وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع
على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة
ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في
الاصل لما هو قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح
التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها
الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها
حتى يستلزم جميع ما يلزمها ونعيد عليه فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات
المديد دام او لم يدم ولذلك قيل في الاثافي والاحجار خوالد والجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام
حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام
كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاوصل بنفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان
مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها
في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متفاوتة في الكيفية
متساوية في القوة لا يقوى منها شيء على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في
بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم
انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك
كله الثبات والدوام فان كل نعم جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين
بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ منها وازال عنها خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في
التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع
من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يتعلق
بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع
الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه
العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت

وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم
من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة الصفها باشارة
الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة
من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن
والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال
ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد
من كفر به ووعد من آمن بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي
لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح
مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة والخجل الذي هو انحصار
النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها
فقيل حي الرجل كما قيل نسي وحشي كريم اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف الباري تعالى كما جاء في
الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف
والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قوله يصف بلا اذا ما استحيى الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء
من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة
لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع الشيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل
عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد للنكرة ابهاما
وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في
قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا تعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل لم يوضع لمعنى يراد
منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة
عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولا لتضمنه معنى الجعل
وقرأت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها آخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما
حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين و
استفهامية هي المبتدأ كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب
به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار ودينارين والبعوض
فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة
او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي
ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه
السلام ضرب به مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)